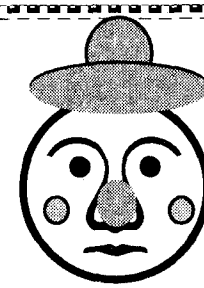

المهرج يغسل وجهه

شوقي بغدادي

عَجّلي..
واسفحي كلَّ هذا الجمالِ الخرافيّ
في لحظةٍ خاطفهْ

عَجّلي..
إنّهم قادمون ولن يسمحوا
فاكسري الوقتَ
ثم ارشقيني ببعضِ الفُتاتِ
ولا تجرحيني بنظرتكِ الواجفهْ

أنصتي..
في هديلِ الغروبِ نشازٌ قَصيٌّ
وفي حافّةِ الكونِ ومضٌ مخيفٌ خفيٌّ
كـهـذي الثـيـابِ التي تتـرنّحُ في
الغرفةِ الخاويهْ
كنتُ أرخي الستائرَ دون اقتناعٍ
وكنتِ مـعي تُرجـعين الزهور إلى
الآنيهْ
من يجرّدنا
ثمّ يقذفنا عاريين
ويأمرنا بارتداء ملابسَنا
قبل أن تنقضي الثانيهْ؟

من يُطيل عذابَ السريرِ
وبؤسَ النوافذ؟
من يستطيبُ نواحَ المقاعد مقلوبةً
والكؤوسِ مُحطّمةً
والخزانةِ منبوشةً
وأنا أتّقي الحبَّ في عتمةِ الزاويهْ؟

عَجّلي..
إنّهم قادمون، ولن يسمحوا
يغلقون علينا ولن يفتحوا

عَتّمي.. عَتّمي..
أطفئي ما ينوس هناكَ من النورِ

– لستُ أراك..
ولا أُحْسِنُ الحبَّ دون عَينيّ
– يكفي التلمّسُ
يكفي ارتشافُ التنهّدِ..
فاستعجلي..

ثَمّ هَمْسٌ يُغَرْغِرُ خَلف الجدارِ
وقرقعةٌ تتدحرجُ فوق السطوحِ
ورَجْعُ تحاكٍّ على دَرَجِ المنزلِ
عجّلي..

– أين أخفوا جهازَ التنصّتِ؟.
– لا تبحثي..
إنّه عالقٌ بالشغافِ
فلا تنبسي
حدثيني بعينيكِ، أو بالأصابعِ
أو باليدينِ وبالحاجبينِ

– ولكنّهم يُبصرونَ كما يسمعونْ
ثَمّ مبثوثةٌ عدساتٌ مُمَوّهَةٌ
كلُّ آذانهم ها هنا

كلّ رصدِ العيونْ
- فلنغيّرْ إذن صوتنا وإشاراتنا
ولنمثّلْ كما تأمرونْ
وليكنْ كالنفاقِ هوانا
ومثلَ الخضوعِ تمرّدُنا
ولْيَصرْ عقلُنا كالجنونْ

مكّنيهمْ إذن مكّني
إنّهم يرطنون لنا فارطني
نتصالحْ على دَخَنِ
فارفعي بالتحايا ذراعَيْكِ
واستظهري
كُلَّ ما علّموك على المنبرِ
واصدحي بالأناشيد للحرب
والسلمِ..
سيّانِ..
ثم انحني، وازحفي، وادّعي الرقصَ
ثمّ استديري إليّ
أجتُكِ لأدخلَ في لعبةِ الأقنعةْ
راقصاً مثلما تلعبينَ على أربعةْ
سوف لن يغضبوا
عندما يُبصرون المحبّين
كُلٌّ على ظهره بَرْدَعةْ

- لا.. لا أطيقُ..
ولستُ أُحبّك
لستُ أُحبُّ المهرّجَ
حتى ولو غسلَ الدمعُ أصباغَهُ

- يا إلهي.. ماذا تقولين؟.
إنّ الدعابةَ تُفسدني
مثلما يفسدُ الشعرُ
إذْ يتقوّسُ ظهري لكي أُبدعَهْ
فارفضيني إذنْ
إنّ رفضَكِ كالماءِ في الصيفِ
والابتسامةِ في الخوفِ
أرجعْ سويّا..

أنقذيني إذن
خلّصيني من السخريات
السخيفةِ
من لامبالاةِ ذَوْقٍ يرى كلَّ طعمٍ
شهيّا

من هسيسِ الكلام الجبانِ
ومن لَغَطٍ في حُمَيّا الشرابِ يصيرُ
عنيفاً
وفي غُرف النوم يُمسي دويّا

من نقيقٍ يُغَنّي
وَوَقْوَقَةٍ تتمرجَلُ
من هُجنة تتفاصَحُ
أو من هُزالٍ إذا ما خلا
شَبّ يعتو عُتيّا

فلنطامِنْ إذن لَهْوَجاتِ الأصابعِ
تخطفُ نعمتَها
وسُعارَ الشفاهِ تُبعثر قُبلَتها
وانتزاعَ الثيابِ انتزاعاً
يبدّدُ جَنّتَها

فاهدئي.. إهدئي..
واتركيني أمرّ على مَهَلٍ
ما أخمّرهُ في مخابئ عينيكِ منذ
سنينْ

في مراوحِ شَعْرِكِ
إذْ تتواثبُ فوق الجبينْ

في استدارةِ كتْفَيكِ تحت ذراعي
وفي مَدْرَجِ الصدر يشمخُ
ثم إلى مهبطٍ يستكينْ
إهدئي.. إهدئي..
واتركي كلَّ شيءٍ على حالِهِ
فإذا وصلوا بَهَرَتْهُمْ براءتُنا
وارتموا عند أقدامنا خاشعينْ

دمشق